التراث والتجديد في فكر حسن حنفي

بقلم الأستاذ هاني السباعي

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

تقدمة:

لقد فتح المعتزلة الأوائل المجال للعلمانيين ومن سار على دربهم في النيل من الإسلام وعقيدته، أطلقوا سلطة التحسين والتقبيح على حساب الشرع، فقدموا العقل على النقل، وقد نتج عن ذلك أنهم عطلوا صفات الله وقالوا بخلق القرآن وأنكروا رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وأنكروا أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر يوم القيامة وقالوا مرتكب الكبيرة يخلد في النار، وقالوا إن الله لم يستو على عرشه وأولوها بالإستيلاء، وتطاولوا على الصحابة كأبي بكر الصديق وعثمان وعلي وطلحة والزبير وجرير بن عبدالله بن مسعود وسمرة بن جندب، وكان لأبي هريرة نصيب الأسد من الطعن والتجريح رضي الله عنهم أجمعين.

وقد تولى كبر هذه المدرسة الكلامية واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وأبو الهذيل العلاف والنظام والجاحظ والقاضي عبد الجبار وغيرهم، ثم زين المستشرقون آراء هذه الفرق الضالة.

فسار على تلك المنظومة -وخاصة في القرنين المنصرمين-قلة من أبناء المسلمين المتسمين بالإسلام فبعد الطهطاوي جاء الرجل اللغز "جمال الدين الأفغاني" وتلامذته "محمد عبده" و"محمد مصطفى المراغي" وشيخ الأزهر الأسبق "شلتوت" و"عبد العزيز جاوي" ومحمد فريد وجدي" و"علي عبد الرازق" وغيرهم وعلا صوت هذه المدرسة وتم تلميع

أئمتها كالأفغاني ومحمد عبده، فصارت فتاواهم عمدة وتكأة لآراء العلمانيين ومن يسمون أنفسهم بالإسلام المستنير!! وصار كل من هبّ ودبّ يتكلم في الإسلام كطه حسين الذي لم يجد نقيصة إلا ووصم بها الإسلام.

"طه حسين" الذي قدم لنا الآداب الميتة ولغتها المندثرة كاليونانية وكان ينقب عن النشاز في التاريخ فيبرزه كثورة الزنج والقرامطة تزلفاً وعرفاناً بالجميل لأسياده المستشرقين في ظل هذا الجو الكئيب وسيطرة الفكر الإعتزالي على جامعاتنا ومراكز الدراسات كان من الطبيعي أن يفرز ذلك المناخ الدكتور حسن حنفي أستاذ الفلسفة على الفكر الإعتزالي والمنظومة الماركسية الحمراء فأخرج لنا مؤلفاته التي تسير على غرار المنظومة الماركسية ولما كان مصراً على الإحتفاظ باسم مسلم فإنه صار على منهج المتناقضات بغية التوفيق أو قل التلفيق في تأويل الحدث التاريخي الطويل من البحث والتنقيب ظهر سلخ جديد اسمه اليسار الإسلامي، فصار التاريخ الإسلامي يسار ويمين فالمعتزلة يسار، والأشاعرة يمين، والفلسفة بها يمين ويسار، فالفلسفة عند ابن رشد "يسار"... والفلسفة الإشراقية عند الفارابي وابن سينا "يمين"... والتشريع يمين ويسار... فالمالكية التي تقوم على المصالح المرسلة يسار، والفقه الإفتراضي عند الحنفية يمين وفي التفسير بالمعقول يسار والتفسير بالمأثور يمين وفي التاريخ الفتنة الكبرى "علي" رضي الله عنه يسار و"معاوية" رضي الله عنه يمينٍ [1].

(١) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب/ محمد حامد الناصر-مكتبة الكوثر-الرياض الطبعة الأولى، ص٣٣٠و٣٣١.

نلاحظ أنه صنف الأحناف يمين لأن فقه الأحناف في نظره غير واقعي، ويتحدث عن أمور في المستقبل... أما التفسير بالمأثور يمين لأن الذين يفسرون بالمأثور يحتمون بالنص

والنص يعتمد على سلطة الكتاب وليس على سلطة العقل وحجة السلطة ليست حجة لأن هناك كتباً مقدسة كثيرة في حين أنه يوجد واقع واحد وعقل واحد [٢].

(٢) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب/ محمد حامد الناصر-مكتبة الكوثر-الرياض الطبعة الأولى، ص٣٣٠و٣٣١.

هكذا بكل صراحة يعلن حسن حنفي معاداته للقرآن.

فخلاصة فكر هذه المدرسة (اليسار الإسلامي): أنها امتداد للفكر الإعتزالي وما يسمى بالمدرسة الإصلاحية بزعامة الأفغاني ومحمد عبده ومن رجال هذا التيار اليسار الإسلامي "فتحي عثمان" و"محمد عابد الجابري" وغيرهم ويركز هذا التيار على الثورة وتبني الإشتراكية والعدل الإجتماعي وتجديد التراث وغير ذلك.

ويقول حسن حنفي: (إننا في غياب البديل الإسلامي الثوري لجأنا بالضرورة إلى الماركسية لحل قضية العدالة الإجتماعية وإلى الليبرالية -الديمقراطية-لحل القمع المسلط على شعوبنا وإلى القومية لإنهاء حال التشرزم وإلى "ديكارت" لتأكيد العقلانية؛ لقد لاحظ اليسار الإسلامي أن في التراث الغربي بعض الجوانب الإنسانية المضيئة لا يمكن إهمالها ولا يمكن القيام بنهضة فكرية واجتماعية مالم نستفيد من هذه الجوانب التي يلخصونها في العقلانية والعدالة الإجتماعية والحرية والوحدة القومية [٣].

(٣) المرجع السابق/ ص٣٣٠و٣٣١.

ويعتبر حسن حنفي أن اليسار الإسلامي هو النقد الذاتي للحركة الإسلامية وهو التيار المعارض والمصحح داخل هذه الحركة الإسلامية، كما أنه يجب إحياء الجوانب الثورية في الدين وتأويل كل حدث على أنه ثورة، إذ يقول: (ومهمة اليسار الإسلامي الكشف عن العناصر الثورية في الدين أو تأويل الدين على أنه ثورة، فالدين في ذاته ثورة وكانت الأنبياء ثواراً مصلحين ومجددين فقد مثل "إبراهيم" ثورة العقل ضد التقاليد وثورة

التوحيد ضد التجسيم، ومثل "موسى" ثورة التحرر ضد الطغيان، وكان "محمد" ثورة الفقراء والعبيد والمضطهدين ضد الأغنياء وسادة قريش وطغاتها من أجل إقامة مجتمع حرية وإخاء ومساواة، ويؤرخ القرآن للنبوة على أنها ضد المفاسد الإجتماعية والخلقية (..) وقد ذخر التاريخ الإسلامي بالثورات الدينية والإجتماعية والسياسية مثل ثورة القرامطة وثورة الزنج في تاريخنا القديم والحركات الإصلاحية كالمهدية والسنوسية وثورة الجزائر وعمر المختار) (٤).

(٤) المرجع السابق/ص٣٣٤.

هذه خلاصة أفكار اليسار الإسلامي تلك المدرسة التي يريد أن يفرضها علينا حسن حنفي ومن على شاكلته للأخذ بأيدي المسلمين للفوز بالسعادة الماركسية الحمراء وللمزيد من الإيضاح سنلقي الضوء بعون الله تعالى على أهم ركائز فكر حسن حنفي التدميري وذلك من خلال قراءة في كتابه (التراث والتجديد) ...

وقد اخترت هذا الكتاب بصفة خاصة عن سائر كتبه لأنه أوضح عبارة وأخطر طرحاً في إفصاحه المباشر عن اطروحته اليسارية ولا تحتاج عباراته إلى تأويل أو غموض يحتاج إلى تفسير... فلكيلا يتهمنا أحد بالتحامل على الدكتور حسن حنفي حيث نفسر أقواله بما لا تحتمل... لذلك رشحت هذا الكتاب الذي لم يتب مؤلفه حسن حنفي ولم يعلن ذلك على الملأ بل إنه يعتز به وينادي بكل ما فيه...

هذا الكتاب يحتوي على أبرز القضايا التي يدعو لها الدكتور حسن حنفي ويدندن حولها في كتبه ومقالاته وخاصة مؤلفه الضخم: (من العقيدة إلى الثورة محاولة لإعادة أصول الدين) ... وكتابه: (الدين والثورة في مصر) ... وكتابه: (مقدمة في علم الإستغراب) ...
وللكاتب مقالات أخرى في فلسفة اليسار الإسلامي غالبها يدور حول نفس الأفكار التي سنطرحها من خلال كتابه التراث والتجديد في هذه المقالة.

وأهم هذه الأفكار الهدامة هي:

أولاً: العقل أساس النقل:

يقول حسـن حنفي مؤكداً للفكر الإعتزالي: (وقد ظهر أن العقل أسـاس النقل وأن كل ما عارض العقل فإنه يعارض النقل، وكل ما وافق العقل فإنه يوافق النقل، ظهر ذلك لدى المعتزلة وعند الفلاسـفة وظهرت لغة التخيل في الوحي، ومنطق البرهان في الفكر، ولم نسر في هذه الرؤيا ورجعنا إلى التشبيه والتجسيم والتقليد وجعلنا النقل أساس العقل، وآمنا بالوقائع الحسـية المادية وراء التصـوير الفني، واعتمدنا على سـلطة الكتاب في البرهان) [٥].

(٥) التراث والتجديد/ص١٠٤.

ويتهكم حسن حنفي مقتبساً تعبيراً من شطر بيت للشاعر العلماني الفلسطيني محمود درويش: (واحتمى أبوك بالنصوص فجاء اللصوص) ... ورجعنا إلى النص الأول نعطي له الأولوية على الواقع (احتمينا بالنصوص فجاء اللصوص) [٦].

(٦) التراث والتجديد/ص١٠٤.

هكذا يعتقد حسن حنفي فالنص الأول هو طبعاً القرآن الكريم. والتمسك بالقرآن يأتي باللصوص!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

ثانياً: العلمانية أساس الوحي:

وحول هذا يتسـاءل حسـن حنفي ويفتري على الله الكذب ويقول: (فإن قيل إن التراث والتجديد سـيؤدي حتماً إلى حركة علمانية وفي العلمانية قضـاء على تراثنا القديم وموروثاتنا الروحية وآثارنا الدينية، قيل قد نشأت العلمانية في الغرب إستجابة لدعوة طبيعية تقوم على أساس رفض الصور الخارجية وقسمة الحياة إلى قسمين واستغلال المؤسسات الدينية للجماهير وتوطينها مع السلطة وحفاظها على الأنظمة القائمة نشأت

العلمانية استرداداً للإنسان لحريته في السلوك والتعبير وحريته في الفهم والإدراك ورفضه لكل أشكال الوصاية عليه ولأي سلطة فوقه إلا من سلطة العقل والضمير، العلمانية إذن رجوع إلى المضمون دون الشكل وإلى الجوهر دون العرض، وإلى الصدق دون النفاق، وإلى وحدة الإنسان دون ازدواجيته وإلى الإنسان دون غيره. العلمانية إذن هي أساس الوحي، فالوحي علماني في جوهره والدونية طارئة عليه من صنع التاريخ، تظهر في لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور، وما شأننا بالكهنوت والعلمانية ماهي إلا رفض له؟ العلمانية في تراثنا وواقعنا هي الأساس واتهامها باللادونية تبعية لفكر غريب وتراث مغاير وحضارة أخرى) (٧).

(٧) التراث والتجديد/ص٦٣.

ونلاحظ في الفقرة السابقة بياناً صريحاً لدعوة حسن حنفي الإلحادية... فالصور الخارجية!! المرفوضة هي علم الغيب وهي الجنة والنار والملائكة... فالوحي أي القرآن أو الدين بصفة عامة اغتصب حق الإنسان في السلوك والحرية حسب زعم حسن حنفي، وأن العلمانية استردت هذا الحق المغصوب وأعادته للإنسان!!

فالعلمانية تؤدي إلى الصدق!! أما الدين والوحي والقرآن فيؤدي كل منهما إلى النفاق والكذب!!

العلمانية ترفض أي أشكال الوصاية على الإنسان، والوصاية المقصودة هنا هي نصوص القرآن والدين بصفة عامة فالقرآن يضيق على تعبير وحرية الإنسان، كما أن هذه العلمانية ترفض أي سلطة-أي النص القرآني-أما العقل فهو وحده رب العلمانية وإلاهها... ويخلص حنفي إلى أن العلمانية جوهر والدونية طارئة عليه فالدين من صنع التاريخ!!

بمعنى أوضح فالقرآن والدين الإسلامي نتاج بشري من صنع التاريخ ووليد ظروف اجتماعية متخلفة لأن الدين لا يظهر إلا في مجتمعات متخلفة توقفت عن التطور والعلمانية ترفض هذا الكهنوت -أي الدين-ثم بعد ذلك يقرر هذه الحتمية التاريخية التي لا يعرفها إلا حسن حنفي ومن على شاكلته بقوله: (العلمانية في تراثنا وواقعنا هي الأساس واتهامها باللادونية تبعية لفكر غريب وتراث مغاير وحضارة أخرى) !! فأي دونية يقصد حسن حنفي؟!! أعتقد أنه يقصد أن العلمانية هي الدين لأنها أساس الوحي حسب زعمه!!

ثالثاً: الوحي ليس ديناً:

من المعلوم بداهة أن المقدمة إذا كانت باطلة فلابد أن تكون النتيجة باطلة تبعاً لذلك... ولما كانت العلمانية هي أساس الوحي حسب زعم حنفي... فالنتيجة أن الوحي ليس ديناً وهذا ما سنجده في الفقرة التالية: (يثار بيننا الجدل عن الحكومة الدينية خلافة أم علمانية؟ وتتصارع الأهواء وتتضارب الغايات دون أن يحاول أحد تحليل الواقع الذي يمكنه أن يبدد كل هذا الجدل، فالواقع لا يوصف بما هو أقل منه كما أن له بناءه المثالي في الوحي، والوحي ليس ديناً بل هو البناء المثالي للعالم) [٨].

(٨) التراث والتجديد/ص١٠١.

فالكاتب يفترض أن هناك جدالاً قائماً يصوره له خياله الفلسفي! فمن هؤلاء العلماء الثقات الذي أثاروا الجدل وتساءلوا عن الحكومة الدينية سواء كانت خلافة أم علمانية؟!! فهذا التساؤل لم يدر إلا في خلد حسن حنفي ومن يحذو حذوه! أما العلماء الربانيون فإنهم لم يثيروا مثل هذا الجدل وطبيعة المنظومة الإسلامية.

رابعاً: طعنه في آيات التحريم:

يعتبر حسن حنفي أن من أسباب فشل تغيير الواقع بالقديم -أي القرآن- هو الإهتمام بتحريم المحرمات، وفي ذلك يقول: (البداية بالمحرمات، والتشديد في العقوبات، وإصدار قوائم للممنوعات، وجعل السلوك الإنساني تحقيقاً للنواهي دون ذكر للمباحات التي يمكن أن يتصل من خلالها بالطبيعة، وجعل العالم مواطن للشبهات لا يجوز للإنسان أن يحوم حولها خشية التردي فيها، هذا كله يمنع الثقة بين الإنسان والعالم، ويضع في الإنسان الخوف بدل الشجاعة، والإحجام بدل الإقدام، ويجعل الإنسان متشككاً في سلوكه، متهماً لنفسه، نادماً على ما فعل مما يرسخ في نفسه الإحساس بالذنب الناتج عن الإقتراب من "التابو" أو مجرد التفكير فيه، والوعي السياسي يتطلب القضاء على كل هذه المحرمات التي تخضع لتحليل العقل ولوصف الواقع، مما يعيد الثقة للإنسان بينه وبين العالم) [٩].

(٩) التراث والتجديد/ص٤٢.

هذه دعوى صريحة لرفض حكم الله والطعن في آيات الله وقرآنه... فالبداية بالمحرمات -حسب زعمه- هي سبب فشل تغيير الواقع بالقرآن!! فحسن حنفي يقصد بقوله (البداية بالمحرمات) ... قول الله تعالى: {حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق} ...

ويتمادى حسن حنفي في جرأته على النص القرآني قائلاً: (البداية بقوانين العقاب أو تطبيق الحدود، وكأن الإسلام يأتي بالرجم والقتل وقطع اليد) [١٠].

(١٠) التراث والتجديد/ص٤٢.

ويقصد حنفي بقوله التشديد بالعقاب... قوله تعالى: {إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم} ... وقوله تعالى: {الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله...} وقوله تعالى: {والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم}.

فهذه الآيات البينات الكريمات لا تُعجب أستاذ الفلسفة دكتور حسن حنفي، بل هي في زعمه سبب فشل تغيير الواقع عن طريق القديم!! أي عن طريق النص القرآني بمعنى أن الشريعة الإسلامية في نظره لا تصلح للواقع... {كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا}.

خامساً: لفظ الجلالة (الله) وألفاظ (الرسول، الدين، الجنة، النار. إلخ) لم تعد عند حسن حنفي قادرة على التعبير عن مضامينها:

لم تسلم شعائر الدين الإسلامي من طعنه، ولم يسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حتى ذات الله واسمه الأعظم من افتراءات أستاذ الفلسفة، حيث يقول: (إن العلوم الأساسية في تراثنا القديم مازالت تعبر عن نفسها بالألفاظ والمصطلحات التقليدية التي نشأت بها هذه العلوم والتي تقضي في الوقت نفسه على مضمونها ودلالتها والتي تمنع أيضاً إعادة فهمها وتطويرها، يسيطر على هذه اللغة القديمة الألفاظ والمصطلحات الدينية مثل: الله، الرسول، الدين، الجنة، النار، الثواب، العقاب (..) هذه اللغة لم تعد قادرة على التعبير عن مضامينها المتجددة طبقاً لمتطلبات العصر نظراً لطول مصاحبتها للمعاني التقليدية الشائعة التي تريد التخلص منها، ومهما أعطيناها معاني جديدة فإنها

لن تؤدي غرضها لسيادة المعنى العرفي الشائع على المعنى الإصطلاحي الجديد، ومن ثم أصبحت لغة عاجزة عن الأداء بمهمتها في التعبير والإيصال) [١١].

(١١) التراث والتجديد/ص١١٠.

انظر إلى هذا الإفتراء وإلى هذه الجرأة الوقحة مع رب العزة سبحانه وتعالى، فلفظ الجلالة ما هو إلا لفظ قاصر ليس له واقع ولا يعبر عن شئ والرسول والجنة والنار ماهي إلا ألفاظ جوفاء قاصرة لا تعبر عن واقع ولا عن شئ بل يدعو حسن حنفي إلى التخلص منها أي رفض الدين جملة وتفصيلاً!!

فالأمر إذن دعوة للإلحاد بالمعنى الفصيح.

سادساً: لفظ الجلالة (الله) يحتوي على تناقض حسب افتراءات حسن حنفي:

فحاشا لله أن يحتوي اسمه الأعظم على تناقض... يشرح حنفي أسباب قصور اللغة القديمة -أي النص القرآني-فيقول: (إنها لغة إلهية تدور الألفاظ فيها حول "الله" ولو أنه يأخذ دلالات متعددة حسب كل علم، فهو "الشارع" في علم أصول الفقه... وهو "الحكيم" في علم أصول الدين، وهو "الواحد" في التصوف، لفظ "الله" يستعمله الجميع دون تحديد سابق لمعنى اللفظ إن كان له معنى مستقل أو لما يقصده المتكلم من استعماله، بل إن لفظ "الله" يحتوي على تناقض داخلي في استعماله باعتباره مادة لغوية لتحديد المعاني أو التصورات، مطلقاً يراد التعبير عنه بلفظ محدود) [١٢].

(١٢) التراث والتجديد/ص١١٢.

ويزيد حسن حنفي شرحه للفظ الجلالة: (يعبر عن اقتضاء أو مطلب، ولا يعبر عن معين أي أنه صرخة وجودية، أكثر منه معنى يمكن التعبير عنه بلفظ من اللغة أو بصور في العقل، وهو رد فعل على حالة نفسية أو عن إحساس أكثر منه تعبيراً عن قصد أو إيصال لمعنى معين، فكل ما نعتقده ثم نعظمه تعويضاً عن فقد، يكون في الحس الشعبي هو الله،

وكل ما نصبو إليه ولا نستطيع تحقيقه فهو أيضاً في الشعور الجماهيري هو الله، وكلما حصلنا على تجربة جمالية قلنا: الله! الله! وكلما حفت بنا المصائب دعونا الله، وحلفنا له أيضاً بالله) (١٣).

(١٣) التراث والتجديد/ص١١٣.

وماذا بعد كل هذه الإفتراءات حول لفظ الجلالة؟! يخلص حنفي إلى الآتي: (فالله لفظ نعبر به عن صرخات الألم وصيحات الفرح أي أنه تعبير أدبي أكثر منه وصفاً لواقع، وتعبير إنشائي أكثر منه وصفاً خيرياً، وما زالت الإنسانية كلها تحاول البحث عن معنى للفظ الله) (١٤).

(١٤) التراث والتجديد/ص١١٣.

انظر إلى قوله (فما زالت الإنسانية كلها) ... فلماذا كلها وليس بعضها؟!

فهل هذا خطاب علمي موضوعي لرجل يزعم أنه أفنى عمره في البحث والتنقيب، فكأنه يخوفنا بتعميماته -الإنسانية كلها-لكن المسلمين وحتى أصحاب الديانات الأخرى ضد هذه الأطروحة الإلحادية... أليس المسلمون وأصحاب الديانات الأخرى من الإنسانية؟!... بالطبع هذا هراء علمي! وهذه طريقة الخطاب الماركسي في التعتيم والحتمية لإرهاب القارئ بأن ما يكتب مسلمة تاريخية!!

وفي تطاوله المستمر على لفظ الجلالة يقول حنفي: (فالله عند الجائع هو الرغيف، وعند المستعبد هو الحرية، وعند المظلوم هو العدل، وعند المحروم عاطفياً هو الحب، وعند المكبوت هو الإشباع، أي أنه في معظم الحالات صرخة المضطهدين، والله في مجتمع يخرج من الخرافة هو العلم، وفي مجتمع آخر هو التقدم، فإذا كان الله هو أعز مالينا فهو الأرض، والتحرر، والتنمية، والعدل، وإذا كان الله هو ما يقيم أودنا وأساس وجودنا ويحفظنا فهو الخبز، والرزق، والقوت، والإدارة، والحرية، وإذا كان الله ما نلجأ

إليه حين الضرر، وما نستعيذ به من الشر فهو القوة والعتاد، والإستعداد، كل إنسان وكل جماعة تسقط من احتياجاتها علي، ويمكن التعرف على تاريخ احتياجات البشر بتتبع معاني لفظ "الله" على مختلف العصور (..) ومن ثم فتوحيدنا هو لاهوت الأرض، ولاهوت الثورة، ولاهوت التنمية، ولاهوت النظام، ولاهوت التقدم، كما هو الحال في العديد من الثقافات المعاصرة في البلاد النامية التي نحن جزء منها) [١٥].

(١٥) التراث والتجديد/ص١١٣ التراث والتجديد ص ١٣٩.

<u>أقول:</u> هكذا يفتري هذا الرجل على الله تخرصاً {ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً} ... يفتري على اسم الله الأعظم... تعالى الله عما يقول حنفي علواً كبيراً... أهذا ما يريد اليسار الإسلامي لديننا!! أهكذا يكتب رجل عن رب العزة سبحانه وتعالى... بكل هذه الوقاحة!! خبرونا إن لم يكن ما كتبه حسن حنفي في الفقرة السابقة إلحاداً وإنكاراً لوجود الله؟!! فماذا يكون إذن؟!! أهكذا يصل الخطاب تحت مظلة البحث العلمي بحق الله تعالى! في منتهى السخف والإستهزاء بجناب رب العزة... فضلاً عن الإستهزاء بعقيدة أهل التوحيد... {سبحانك هذا بهتان عظيم}.

لو طلب من حسن حنفي أن يكتب بحثاً أو مقالة في فرعون من الفراعين ما اجترأ أن يتحدث بهذه الطريقة الإلحادية التي تدل على زندقة سافرة... (الله هو الرغيف!! والحب والتنمية والأرض والحرية والرزق والقوت!!).

والله لقد قال هذا الزنديق الذي يصر على أنه مسلم قولاً {تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا} ... ورغم هذا الكفر البواح يتبجح حسن حنفي عبر وسائل الإعلام مدعياً أنه مسلم يقدم مشروعاً حضارياً لينقذ به أمة الإسلام!!

سابعاً: السلام أفضل من الإسلام:

حتى الإسلام الذي اختاره الله لأنبيائه وأوليائه بقوله سبحانه وتعالى: {إن الدين عند الله هو الإسلام} ... وقوله سبحانه: {هو سماكم المسلمين من قبل} ... والذي لا يقبل الله ديناً سواه {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه}... حتى هذا اللفظ المبارك الذي يعتز به المسلمون يضن به حسن حنفي علينا ويزين له خياله الفلسفي الذي أورده مهالك الزندقة والإلحاد إلى تفضيل لفظ "السلام" على "الإسلام"، حيث يقول: (ولفظ السلام أيضاً يعبر أكثر عن مضمون الإسلام من اللفظ ذاته لأن السلام هو الذي يحقق السلام الداخلي للإنسان بعد تحرره من كل قيود القهر والإستعباد، ثم هو الذي يحقق المجتمع الواحد الذي لا طبقات فيه ولا استغلال ولا احتكار ومن ثم ينشأ السلام في المجتمع، وهو أيضاً الذي ينظم علاقات الأمم بعضها مع البعض الآخر على أساس من السيادة المتبادلة وأحلاف السلام) [١٦].

(١٦) التراث والتجديد/ص١١٦.

يستبين لنا من الفقرة المذكورة آنفاً أن الدكتور حسن حنفي يجهل اللغة العربية أو يتجاهل قواميس العرب وأن لفظ السلام أحد مكونات الإسلام وهو جزء من بعض معاني الإسلام فالإسلام أعم وأشمل من هذا الفهم الضيق القاصر... ولو كان الإسلام بمعنى السلام الضيق الذي يريده حسن حنفي لما وصل الإسلام إلى المعمورة ولما خرج الإسلام من جزيرة العرب!!

ثامناً: الألفاظ الأصولية توحي بأن الإنسان آلة:

لم تسلم بالطبع مصطلحات اصول الفقه التي اتفق عليها علماء الأمة السابق منهم واللاحق من طعنه، حيث يقول: (الواجب والحرام والمندوب والمكروه والمباح فهي ألفاظ توحي بأن الإنسان ما هو إلا آلة للتطبيق وأنه فاقد حريته، في حين أن التعبير بألفاظ

أخرى مثل الطبيعة والإنطلاق والإزدهار فيها تأكيدا للذات وإثبات لحريتها وتحقيق وجودها) [١٧].

(١٧) التراث والتجديد/ص١١٨.

تاسعاً: الحديث عن الله وصفاته هو حديث عن الإنسان الكامل في الشعور:

الله سبحانه وتعالى في نظر حسن حنفي عبارة عن صورة صنعها الإنسان في عقله للأنموذج الأمثل كأن الله أمنية أو صورة جميلة صنعها الإنسان لنفسه لصفات الرجل الكامل الخالي من العيوب، حيث يقول: (ويعبر لفظ الإنسان الكامل عن علم التوحيد وعلم التصوف معاً، فمع أن علماء أصول الدين يتحدثون عن الله ذاته وصفاته وأفعاله فإنهم في الحقيقة يتحدثون عن الإنسان الكامل، فكل ما وصفوه على أنه الله إن هو إلا انسان مكبر إلى أقصى حدوده) [١٨].

(١٨) التراث والتجديد/ص١٢٦.

{تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً} ... أليس هذا إلحاداً في أسماء الله وصفاته وأفعاله؟!!

يقول الله تعالى متوعدا لأمثال حنفي: {إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا} ... لكن حسن حنفي تجاوز الإلحاد في الآيات والأسماء والصفات فالرجل ينكر وجود الله أصلاً.

عشراً: لا تقديس للقرآن والسنة:

قد تناول حنفي في طعنه أعظم ما تعتز به هذه الأمة من شعائر دينها والعاصم لها من الضلال بعد الهدى ومصدر شريعتها إذ يقول: (نشأ التراث من مركز واحد وهو القرآن والسنة ولا يعني هذان المصدران أي تقديس لهما بل هو مجرد وصف لواقع) [١٩].

(١٩) التراث والتجديد/ص١٥٤.

حادي عشر: الدعوة إلى التخلي عن اللغة المغلقة إلى لغة أكثر عقلانية:

يقول حسن حنفي: (التخلي عن لغة اللاهوت الخاصة من إله، ورسول، وثواب، وعقاب، وملاك، وشيطان، وهي اللغة المغلقة التي مازالت خاضعة للرمز الديني، واستعمال لغة أكثر عقلانية وانفتاحاً وإنسانية يمكن لأي فرد أن يعقلها مثل الإنسان، والعقل، والنظر، والفضيلة، في حين أن علم الكلام ظل خاصاً، وعبر عن مضمونه بلغة خاصة في مقابل الفلسفة التي استطاعت أن تتجه نحو العالم، ونحن الآن قد رجعنا خطوة أخرى إلى الوراء، وألغينا التطور، وآثرنا لغة اللاهوت المغلق على لغة الفكر المفتوح) [٢٠].

(٢٠) التراث والتجديد/ص١٥.

<u>أقول:</u> هكذا حققت الفلسفة على حد زعمه ما لم يحققه علم التوحيد -علم الكلام- فعلم التوحيد يحوي نظريات مبعثرة!!

والكاتب يتأسف ويتحسر لأننا رجعنا إلى الوراء: (ونحن الآن قد رجعنا خطوة أخرى إلى الوراء بإيثارنا البقاء على نظريات مبعثرة دون تصور كوني عام وشامل نعرضه على مستوى الشعور دون أن نتركه يعمل في اللاشعور) [٢١].

(٢١) التراث والتجديد/ص١٥٨.

ثاني عشر: استعداؤه للإسلام ومقدساته وتملقه سلطات اليوم:

في الوقت الذي يشن فيه حسن حنفي الحرب على الله وعلى مقدسات المسلمين وعلى الرسل وعلى الملائكة بجرأة فجة... وعلى الجانب الآخر نجده شفوقاً حنوناً لين الجانب في الحديث عن الحكومات الحالية!! فقد هربت شجاعته العلمية التي يزعمها وطفق يستعدي الحكومات ضد الإسلام!!

فحسن حنفي يطمئن هذه الحكومات حتى لا تفهمه خطأ عندما يستخدم مصطلح الثورة في كتاباته... فيقول لهم إن الثورة التي يقصدها هي ثورة ضد الدين ضد الله لا

ضدكم أنتم!! فلا تصادروا كتبي لأنني أدافع عنكم وأثبت عروشكم بهدمي لمعتقدات المسلمين إذ يقول: (تغيير الواقع بالوثوب على السلطة دون انتظار لتجنيد الجماهير -مصدر السلطة-ومن ثم كانت هذه الدعوات أقرب إلى محاولات الإنقلابات منها إلى تغيير اجتماعي بالفعل) [٢٢].

(٢٢) التراث والتجديد/ص٤٠.

ويؤكد حنفي في فقرة أخرى: (الإعتماد على التنظيمات السرية وغالباً ما تكون مسلحة مما يقوي العقلية المتآمرة، والإحساس بالإضطهاد، والإنفصال عن الآخرين، والرغبة في السيطرة) [٢٣].

(٢٣) التراث والتجديد/ص٤١.

وإذا أنزلنا ما يقوله على المنظومة الماركسية نجد أن حنفي يكيل بمكيالين... فهل قامت الثورة البلشفية الشيوعية عام ١٩١٧م من دون أن تمر بالتنظيم السري أو الدعوة السرية؟!!

وهل الوثوب على السلطة دون انتظار تجنيد الجماهير حلال للماركسية ومن على حمرتها، وحرام على بني الإسلام؟!! أحرام على بلاله الدوح حلال للطير من كل جنس.

ثالث عشر: الحجاب كبت جنسي:

لم يترك حسن حنفي أي شعيرة أو فضيلة في الإسلام إلا نقضها وطعن فيها وتطاول وافترى على المشرع الحكيم الذي فرض الحجاب وأمر به!! فيقول حنفي: (سيادة التصور الجنسي للعالم، البداية بالحجاب وعدم الإختلاط، والأمر بغض البصر، وخفض الصوت، وكلما ازداد الحجاب ازدادت الرغبة في معرفة المستور، والدعوة السياسية الإجتماعية أرحب وأوسع عن هذا التصور الجنسي للعلاقات الإجتماعية، ولماذا يصنف المواطن إلى رجل وامرأة؟ ولماذا ينظر إلى الإنسان باعتباره ذكراً أم أنثى؟ إن

تأكيد النظرة الإنسانية أو الإعلان عن الثورة السياسية من شأنه إحداث ثورة في السلوك الفردي دون ما حاجة إلى التصنيف الجنسي للمواطنين، خاصة وإن كان لا يدل على فضيلة بل يدل على رغبة جنسية مكبوتة أو حرمان جنسي في حالة من التسامي والإعلاء) [٢٤].

(٢٤) التراث والتجديد/ص٤٢.

انظر إلى هذا الميزان المقلوب الذي يزن به حسن حنفي أسباب فشل تغيير الواقع بالقديم أي عن طريق القرآن!! فهناك تناسب طردي بين الحجاب والرذيلة!! فكلما ازداد الحجاب زادت الرذيلة!! فالحجاب في نظره رغبة جنسية مكبوتة!! والحجاب سبب تفشي الرذيلة والفوضى الجنسية في العالم!!

ويتطاول حسن حنفي على النص القرآني {يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين} ... ويتساءل حنفي لماذا ينظر إلى الإنسان باعتباره ذكراً أم أنثى؟!! ولماذا يصنف المواطنون إلى رجل وامرأة؟!!

صفوة القول:

هكذا ظهر المخبوء وانكشف المستور، واستبان لكل منصف كذب الدكتور حسن حنفي وضلاله بل وزندقته... فبعد كل هذا الإفك والإفتراء على الله وعلى رسوله وعلى دينه يزعم حسن حنفي أنه مسلم!!! أي إسلام يريده حسن حنفي والإسلام في نظره عبارة عن ألفاظ جوفاء لوصف واقع فقط!!

أعتقد بعد هذا التطواف في أحد كتب حسن حنفي (التراث والتجديد) أن الإسلام الذي يقدمه لنا من خلال مشروعه اليساري لم ينزل على محمد بن عبد الله رسول الله صلى

الله عليه وسلم... هذا الدين الذين يدعونا إليه حسن حنفي لم يعرفه الصحابة رضوان الله عليهم وسلف هذه الأمة!!

أما الدكتور أستاذ الفلسفة حسن حنفي: فنحن براء من مشروعك اليساري فكن صريحاً مع نفسك وأفصح بإلحادك ولا تتمحك في الإنتساب إلى الإسلام!! فمحاولة التلفيق والتزوير وزعمك أن العلمانية هي أساس الوحي... حديث خرافة!!

وقد كان الكاتب العلماني "عادل ضاهر" أكثر جرأة ووضوحاً منك ومن غيرك في إفصاحه عن علمانيته بالمعنى الغربي الدقيق-اللاتيني- فقد أساءه كتابات هؤلاء العلمانيين العرب الذين يسيرون على منهج التوفيق والتلفيق فنقدهم في مقدمة كتابه (أسس الفلسفة العلمانية) قائلاً: (والأخطر من هذا تدليلاً على تراجع الفكر العلماني عندنا ما نشهده من محاولات حثيثة من قبل المفكرين العلمانيين لدعم موقفهم عن طريق اللجوء إلى الإسلام نفسه -القرآن والسنة- غير مدركين أنهم إنما يقدمون بهذا أكبر التنازلات للحركة المناوئة للعلمانية وأنهم -وهذا هو الخطر- يناقضون أنفسهم أيما تناقض إذا يجعلون النص الديني مرجعهم الأخير في مجال دفاعهم عن علمانيتهم، بينما العلمانية تقوم في المقام الأول على مبدأ أسبقية العقل على النص)[٢٥].

(٢٥) راجع مقدمة كتاب: الأسس الفلسفية للعلمانية/عادل ضاهر/دار الساقي لندن.

أقول: هكذا أراحنا "عادل ضاهر" وأراح نفسه وأعلن مفاصلته الكاملة للدين بمعنى أوضح أعلن إلحاده... أما الدكتور حسن حنفي فإنه لم يملك هذه الجرأة... والنتيجة واحدة في كلا الرجلين... فكلاهما يهدم الإسلام وكلاهما ليسا على شئ.

لكن مهما لفق حسن حنفي وزور وزيف... ومهما طبل له الإعلام المعادي للإسلام... فإنه لن يكون في نهاية المطاف إلا زنديق من الزنادقة الذين يحاولن هدم الإسلام الشامخ على

مر العصور... ومصيرهم معروف... في مزابل التاريخ... ولن يفلحوا إن شاء الله... فالإسلام أصلب من معاول هدمهم.

الأستاذ هاني السباعي

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية